**المدخل**

الحمد لله القائل في كتابه الكريم ﴿ ﴾[[1]](#footnote-2)، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، القائل فيما صح عنه:{**خيركم من تعلم القرآن، وعلمه**}، وبعد:

فإن اللهَ سبحانهُ وتعالى سمى كتابه الكريم بأسماء تشير إلى عظمته فقد سماه: هدىً، وشفاءً لما في الصدور، ومهيمنا ًعلى كل الكتب، والشرائع، ووصفه بأنه مُحكم الآيات، وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ذلكم هو القرآن الكريم الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقولـه: ﴿ ﴾[[2]](#footnote-3)، والقرآن الكريم مصدره هو الله سبحانه وتعالى فيستحيل إجراء مقارنة بين القرآن، وكلام البشر، وكما تحدى ربنا جل وعلا بخلقه: ﴿ ﴾[[3]](#footnote-4)، تحدى بكلامه سبحانه : ﴿ ﴾[[4]](#footnote-5).

إن القرآن العظيم كان مِداداً لكل باحث، وذَخيرة لا تنفذ، فمن معانيه نتدبر،ومن أفكاره نقتبس، ومن سحر بيانه، وروعة أسلوبه نتأثر.

لقد أصبح البحث في إعجاز القرآن يحمل الصدارة ذلك أنه الكتاب المعجز، وكونه وحي السماء، والسلوك المنظم لجميع البشر، واستعمل العرب أذهانهم، وعبقرياتهم لدراسة ظاهرة الإعجاز البلاغي للقرآن فساعدتهم هذه الدراسة على فهم وإدراك أسرار القرآن، وبالتالي بعث عديد العلوم، والفنون اللّغوية إلى حيز الوجود.

لم يعجز القرآن الكريم العرب لسانياً من حيث نظمه فقط، ولكنه علاوة على الإعجاز اللّساني المتحدي الذين عجزوا عن الإتيان بآية مثله، وقد نزل بلسانهم، فإن "متكلماً عادياً عامياً أو مثقفاً يستطيع أن يحكي أو أن ينسج رسماً كلامياً بعينه محل كلام المتكلم من جنس كلام لغته، بل إن المتكلم على مستواه من قول إلى قول قد يقول القول نفسه، لكن ليس بالوجه ذاته، وهذه وجهة عامة لا تتعلق باللغة وحسب، بل بكل نوع من أشكال الفن والتعبير، فكيف إذا كان هذا الكلام وحياً إلهياً؟ فمن هنا كان الإعجاز بالنسبة إلى اللّغة القرآنية المتفردة لا بطبعها وخصائصها وحسب، لكن باستحالة نسجها ونظمها أكثر من مرة، لأنَّ أي نسيج مزعوم من شاك أو ملحد، سيؤدي به إلى نسج لغة أخرى غير اللغة القرآنية "[[5]](#footnote-6).

ما شد انتباهي في أسلوب التعريض هو قيمته الفنية، فأردتُ أن تكون هذه الدراسة في القرآن الكريم حتى أغوص في فهم معاني القرآن، والتدبر في آياته، وبالتالي استجلاء المعنى الخفي وراء كل عبارة تعريضية، وآية قرآنية بالاستناد على مجموعة من التفاسير القرآنية.

إن الناس تكره الأسلوب المباشر في النقد، ولا يحبون أن تقال لهم الأوامر مباشرة، فالتصريح يهتك حجاب الهيبة، أما التعريض فهو يخالف التصريح وبذلك يستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، وقد يكون استخدم التعريض، أو الأسلوب غير المباشر لإحداث مزيد من التقبل، والالتزام بمضمون التوجيه.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخطأ أُناس من المسلمين يقول ما بال أقوام يقولون، أو يفعلون كذا وكذا، بمعنى أنَّه عليه أفضل الصلاة والسلام كان لا يُصرح بصاحب الخطأ أمام الناس. وبهذا يكون التعريض بإعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر.

"والتعريض ضد التصريح، أي أن تُخاطب واحداً وتُريد غيره، وسمي بذلك لأنك تُميل الكلام إلى جانب وأنت تشير به إلى جانب آخر، يحال النظر إليه بعرض وجهه، أي جانبه، ويقال عرّضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعاريض**[[6]](#footnote-7)\*** في الكلام"[[7]](#footnote-8).

فيظهر أن التعريض يأتي بخلاف التصريح، والمقصود به أنْ تتكلم بشيء وأنت تريد شيئاً آخراً.

بفضل مناهج القرآن الكريم وبلاغته أخذت العناية تنمو وتزدهر، فآيات القرآن تتلاقى في كل مكان وزمان، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تجول على كل لسان وتحفظ في القلوب والصدور، فأخذ الخلفاء، والأمراء، والولاة في المدن، والأمصار يعنون في خطبهم بتخير اللفظ، واقتباس كثير من العبارات القرآنية في أساليبهم حجة للإقناع، ووسيلة للإفهام، فكان من الطبيعي أن تنمو النظرة البلاغية في الكلام، وتتضح الملاحظات بتطور الشعر النثر، مع تطور العقلية العربية والفكر اللّغوي.[[8]](#footnote-9)

لذلك قال "أبو هلال العسكري": « إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد معرفة الله عز وجل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى، وقد علمنا أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأضل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب».[[9]](#footnote-10)

أفهم من خلال قول "**أبو هلال العسكري**" أنه أعطى أهمية بالغة لتعلم علم البلاغة طبعاً بعد الله عز وجل فبمجرد إغفال الإنسان بمعرفة البلاغة، والفصاحة فإنَّه يبتعد ويتيه عن العلم بإعجاز القرآن الكريم من جهة التأليف أو النظم، وبراعة التركيب.

1. سورة الإسراء، الآية:88. [↑](#footnote-ref-2)
2. سورة الإسراء، الآية:82. [↑](#footnote-ref-3)
3. سورة لقمان، الآية:11. [↑](#footnote-ref-4)
4. سورة االطور، الآية:34. [↑](#footnote-ref-5)
5. ينظر:عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن الكريم، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع الجزائر-2013، دط، ص46 [↑](#footnote-ref-6)
6. **\*** المعاريض: جمع معارض، وهو التورية والستر. [↑](#footnote-ref-7)
7. ينظر: أبي منصور عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتَّعريض،دراسة وشرح و تحقيق:عائشة حسن فريد،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب شركة مساهمة مصرية 1998، ص 53. [↑](#footnote-ref-8)
8. ينظر: وليد محمَّد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1(1403ه-1983م)، ص13/14. [↑](#footnote-ref-9)
9. ينظر: أبي هلال العسكري كتاب الصناعتين، ص3، نقلا ًعن: وليد محمَّد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 16. [↑](#footnote-ref-10)